محاضرة رقم (14) أنثروبولوجيا التغذية

مقدمة:

تحتوي العديد من الطقوس على عنصر الوليمة، حيث بدأت الولائم بجلوس الناس حول النار بشكل دائري(والشكل الدائري يعني التساوي في المكانة الاجتماعية وكمية الطعام)، ومن ثم اخترع الشكل المستطيل ليحدد المقامات الاجتماعية للجالسين على المائدة، فكل مكان مختلف يدل على منزلة المرء من المضيف الى ضيف الشرف.

ومن المعروف أن من يرغب في تعزيز علاقاته الاجتماعية بشخص ما فإنه يستضيفه على حفل عشاء، ويجعله يحظى بامتياز جودة الطعام، ولذلك تعد الأعياد مهمة على مستويات متعددة: بيولوجية، اقتصادية، سياسية، اجتماعية، والطعام على المائدة ليس طعاما فحسب بل هو طريقة لتحويل الانسان من كائن أناني إلى شخص اجتماعي.

منذ بداية القرن 19 توجه علماء الأنثروبولوجيا إلى دراسة الطعام خاصة مع صدور الادبيات الكلاسيكية للرواد الاوائل للأنثروبولوجيا ابتداء من تايلور في دراساته التنظيرية للدين عند القبائل البدائية، مرورا بـ ***فرانزبواس*** في دراسته لإعدادات سمك السلمون عند قبائل ***الكوايكيون*** وصولا الى ***مالينوفسكي*** في دراسته المستفيضة لسكان جزر ***التروبرياند***، وصيادي ***الباسفيك***.

1. ثقافة الطعام:

يعد الطعام مركزي للحياة البيولوجية والاجتماعية، وتقع المشاركة في الأكل معا موقع القلب من العلاقات الاجتماعية، فنحن ننشأ العلاقات العائلية والصداقات باقتسام ألوان الطعام، كما أن الطعام يعد محورا أساسيا للكثير من الانشطة الاقتصادية، وتسهم دراسة طرق التعامل مع الطعام في فهم الأشخاص لأنفسهم عبر الثقافات والحقب التاريخية، وفيما يلي نوجز السمات الثقافية ذات العلاقة بالطعام:

الطعام والقوة: يشير ***أرنولد*** 1988 الى ان الطعام كان ومازال وسيظل قوة بأكثر أشكالها الاساسية والملموسة والتي لا مفر منها، كما ويشير ***Collins و1986 lapps*** الى انه لا توجد علاقة مطلقة على فقدان الحول والقوة أكثر من الجوع، فالجوع مؤشر صريح على ان الشخص تنقصه القدرة على اشباع احتياجات الكفاف الاساسية لديه.

أما ***camporesi*** 1989 فيذهب الى ان الجوع وسوء التغذية كان جزء من استراتيجية الثقافة التي يستخدمها أفراد الصفوة السياسية الحديثة للحفاظ على قوتهم، بجعل الفقراء ضعفاء خائري القوى دائما، ويرى ***أرنولد*** وزملاؤه أن يشكل تهديدا خطيرا لاستقرار الحكومات.

2. **الطعام والجنس** (ذكر أو انثى) **والنوع** ((رجل أو امرأة): في الكثير من الثقافات وبخاصة التي يندر فيها الطعام قد يكون اهداء الاطعمة سبيلا لإقامة علاقات جنسية سرية وهذا ما يحدث لدى هنود الأمازون، حيث تعيش مجموعة السيريونو في الجزء الشرقي من الارض المنخفضة لبوليفيا، والتي يندر فيها الطعام حيث يعبر الطعام لديهم من أفضل وسائل الاغراء للحصول على شركاء لعلاقة جنسية خارج نطاق الزواج، وكثيرا ما يستخدم الرجل الطيور أو الحيوانات التي يصطادها بوصفها وسيلة لإغراء امرأة قد تكون زوجة له.

3. **الطعام بوصفه معنى ورمز ولغة:** هو نسق من أنساق التواصل خاصة وأنه نشاط أساسي يتكرر باستمرار، من خلاله تنقل الثقافة من جيل الى جيل ومن بلد الى اخر، أيضا من خلال دراسة المقادير الغذائية المستخدمة وقواعد خلطها ببعضها البعض، آداب المائدة وفوائد التعامل مع الطعام من حيث الأعراف التي تحكم ما الذي يأكله المرء، ومع من يأكل ومتى وأين يأكل والمحرمات والقيود الموضوعية على استهلاك جماعة معينة لأطعمة تحت ظروف معينة،...
4. **الطعام والمجتمع:** تؤكد المشاركة في الطعام بقاء الجماعة على قيد الحياة، على المستويين الاجتماعي والمادي، فالرفيق هو حرفيا الشخص الذي يأكل المرء معه خبزا، أما رفض المشاركة في الطعام علامة على العداوة والكراهية، كما أن عمليات تبادل الطعام بشكل يومي أمر شديد الأهمية للحفاظ على العلاقات الطيبة بين الأفراد، كما أشار موس ما للهدية من قوة ثقافية متغلغلة اذ تجعل الافراد في حالة دين مستمر لبعضهم البعض كما تجعلهم مشغولين باستمرار بتبادل المعاملات الايجابية من خلال الاخذ والعطاء.

وقد ذكر ساهلينز أن الهدية تحالف وتضامن وجمع شمل، وان الطعام من المكونات ذات الاهمية القصوى لتبادل شيء مقابل شيء، وهو أهم في هذا الصدد من أي شيء أخر أو أي مادة.

وبسبب قيمة الطعام في بعض الثقافات فإن الأحياء يأكلون الموتى فعليا لتكريمهم والحصول على بعض مالهم من قوة.

فهنود اليانوماما الذين يعيشون في منطقة الامازون بفنزويلا يأكلون رماد أجساد أحبابهم المتوفين لضمان نجاح المتوفي في الحياة الآخرة، وحين أصيب عالم الأثنوجرافيا ***كينيث جود*** بالملاريا وتدهورت حالته حتى اقترب من الموت عبر اخباريون عن حبهم له بطمئنته بقولهم " لا تقلق يا أخانا الكبير لا تقلق مطلقا سنشرب رماد جثمانك ".

الطعام والعائلة:

لقد أشارت مارغريت ميد إلى أنه من خلال علاقة اطعام الرضيع يتعلم كل رضيع أو طفل شيئا عن ترحاب العالم به بإعطائه الطعام أو منعه عنه...، كما أن الرضاعة من الثدي تصير جزءا من تكوين الطفل او الطفلة لفرديتها أو فرديته واستقلاله، حيث يدرك تدريجيا ان مصدر طعامه يقع خارج ذاته فيبدأ في انشاء هوية مستقلة باتخاذ قرارات لها حدود وذاتية.

وتشير ***أنا فرويد*** (عالمة نفس نمساوية بريطانية الابنة الصغرى للعالم سيجموند فرويد) الى ان الانماط المشوشة في تناول الطعام قد تكون رمزا للصراع بين الأم والطفل، يجد فيه الطفل مخرجا لميوله السلبية أو الايجابية.

كما يشير وليام شاك الى انه مادام الرجال ذوي المكانة المنخفضة على وجه الخصوص لا يضمنون التزود بالطعام فهم عرضة لأن تتلبسهم الروح الشريرة المعروفة باسم أوري awre والتي تتميز من تتلبسه بفقدان الشهية والغثيان مع نوبات متقطعة من آلام المعدة الشديدة.